في العولمة

العولمة لفظة حديثة العهد تصف حالة تاريخية موغلة في القدم. لعل جذور العولمة كامنة في سفر التكوين. جاء فيه: «لا يحسن ان يكون الانسان وحده خاضع له عوناً بإزائه». (تك: ٢: ١٨). ان تعبير «لا يحسن» ينطوي على لعنة ما أو نقمة ما بعد نعمة ذكرها السفر نفسه!.

خروج الانسان على عزلته شطر الاسرة هو اول تباشير العولمة. هكذا طفق العالم يتكون من مجموعات منعزلة تدور كل منها على محور ذاتي لها ولا تكترث بما هو خارجها باستثناء غزوات تسعى من ورائها إلى النهب والاستعباد.

تكون العالم من مجموعة مغلقة على ذاتها في شرقي آسيا هي الصين بامتداداتها الى اليابان وكوريا وجزر المحيط الهندي وإلى الغرب منها تقع دائرة اخرى في الهند وبعدها تقع فارس تليها بلاد ما بين النهرين ثم مصر وإلى الشمال انبثقت حضارة الاغريق... قام الاسكندر في القرن الرابع ق. م. بالامتداد شرقاً وجنوباً فضم اليه كل هذه الحضارات ما عدا الصين ونشر فلسفة ثاقفت بين الحضارة الاغريقية والحضارات الاخرى تقوم على لغة عالمية هي اللغة اليونانية ونشأت هكذا الحضارة الهلينية. توسعت الامبراطورية غرباً وجعلت من الحضارة اليونانية والقانون الروماني اساسي سيطرتها وصاغت ما عرف بالسلم الروماني.

كما ان الاسلام بدوره تجلى ذات يوم عولمة امتدت قيمها من الاندلس الى حدود الصين... وبدءاً من انهيار القطب الاشتراكي وازالة جدار برلين واندلاع حرب الخليج الثانية غدا مفهوم العولمة يدور حول «امركة» لها سلبياتها وايجابياتها كالتي سبقتها.

فهل غدونا ذات يوم، ولو في المعنى الواسع للفنيقة، تاريخياً وجغرافياً، وطناً للحقيقة ولو جزئية، ام ان الحرف انطلق من شواطئنا لاسباب اساساً محض تجارية؟ هل ترانا بالاحرى تجلينا في لبنان وجواره، خليطاً من نور ونار؟ هل صبرنا على الايجابي من تراثنا الحقيقي او الخيالي؟ هل تكشف النخبويون عندنا فعلاً ممن كفروا بانفسهم وامتهنوا المادة وتطلعوا الى شاهقات القمم والقيم؟ هل تنطوي عولمتنا على زيف وزغل مقيمين؟ نخشى ان يكون الامر هكذا مما تسبب في تفاقم الازمات المختلفة على مر الزمان

د. جهاد نعمان